المواطنة والمواطن, في مدينة قرطاجة من القرن الخامس – 146 ق.م.

The citizen and the citizenship in Carthage, from the 5th century to 146 B. C.

مولاي الحاج أحمد. بومعقل [1*] - أ.د. توفيق حموم [2]

1 جامعة الجزائر 2 (الجزائر)

2 جامعة الجزائر 2 (الجزائر)

تاريخ الاستلام: 11سبتمبر2019 ؛ **تاريخ المراجعة :** 01 ديسمبر2019 ؛ **تاريخ القبول :** 31ديسمبر2019

ملخص:

يهدف الموضوع إلى إبراز مبدأ المواطنة والمواطن في مدينة قرطاجة خلال الفترة الممتدة بين القرن الخامس و 146 ق. م. وذلك من خلال المعطيات الأثرية التي تضمنت بعض المعلومات حول سكان مدينة قرطاجة وما جاء في المراجع. ورغم أن المواطنة فكرة يونانية المنشأ حسب الدراسات، إلا أن مبدأ المواطنة كان مطبقا في مدينة قرطاجة، حيث كان القانون يميز سكان المدينة إلى مواطنين وأجانب لا يتمتعون بنفس الحقوق، والتي تخول لهم المشاركة في الحياة السياسية وتسيير شؤون المدينة.

ولم يمنع القانون القرطاجي أولئك الأجانب من الحصول على حق المواطنة، وذلك وفق شروط يحددها القانون، من أهمها الحرية وتقديم خدمات للدولة، وقد ساهم ذلك في ظهور الحضارة البونيقية.

الكلمات المفتاحية: مدينة؛ قرطاجة؛ مُوَاطَنَة؛ مُوَاطِن؛ الأجانب.

Abstract:

The goal of the current topic is arising the citizen and citizenship in Carthage city, during the era between the5th- 146 B. C. The sources don't take it into account, that's why we deal it as a research in this article. The archeological materials gave few modern writing in this topic. It insures the citizenship idea, that was typically Greek, though the city of Carthage had its laws in which distinguished between citizens and Foreigners. Carthage didn't forbid the right of Citizenship for the Foreigners. That right gave them opportunities to participate in Carthage life, and keep political and civic legal.

The act of being a citizen is hindered through a certain conditions. It solved the problem of needing people to Carthage in which was born the Punic civilization.

Keywords: City; Carthage; Citizenship; Citizen; Foreigners.

* Corresponding author, e-mail: moulayboumakel@gmail.com

1- مقدمة

من أعظم نتائج تقدم المجتمعات البشرية عبر كل العصور ظهور فكرة المواطنة والمواطن (Sakillariou. Michel, 1989, p.259.)، وقد نشأت هذه الفكرة أول مرة في مدن بلاد اليونان حسب ما يؤكده الباحثون[1] (جولتز. جوستاف، 2011، ص ص. 34- 37)، وبالرغم من ذلك نجد أن هذه الفكرة كانت موجودة في مدينة قرطاجة التي ضمت عناصر متباينة من السكان. واعتمادا على المعطيات الأثرية من نصوص ونقوش كتب بعض الباحثين المتخصصين في التاريخ البونيقي حول موضوع المواطنة في قرطاجة، ومن بين هؤلاء نذكر محمد حسين. فنطر وأحمد. الفرجاوي (1993، ص ص. 129- 131) وكذا بورنية. الشاذلي ومحمد طاهر[2] وموريس. سينيسير (Sznycer. Maurice)، ولم يشمل موضوع المواطنة إلا جزءا يسيرا ومختصرا في بعض الفقرات من تلك الكتب والمقالات. والواقع أن موضوع المواطنة في مدينة قرطاجة لا يزال قيد البحث وعدد الذين كتبوا فيه قليل.

ويطرح الموضوع مسألتين في غاية الأهمية تتعلق الأولى بتنظيم الحياة السياسية والاجتماعية في قرطاجة من خلال تحليل الوضعية القانونية للسكان، والثانية دراسة المواطنة والمواطن في مدينة قرطاجة. وتطرح الدراسة إشكالية محورية هي: هل كانت فكرة المواطنة موجودة في مدينة قرطاجة بين القرن الخامس و146 ق. م؟ وإن كانت موجودة سينتج عن هذه الإشكالية إشكاليات فرعية أخرى منها: هل كانت مطبقة ؟ وما هي شروط الحصول عليها، وما مزاياها على سكان قرطاجة ؟ وفي الأخير ما هو تأثيرها على المجتمع القرطاجي آنذاك ؟.

2- مفهوم المُوَاطَنَة، المُوَاطِن وتطورها:

تشكل المجتمع القرطاجي من أصناف ثلاثة من السكان المواطنون، الأجانب والعبيد، تمتعت الفئة الأولى بحقوق لم تكن متاحة للفئتين الأخريين، وذلك بسبب وجود قوانين تحدد الفرق بين المواطن وغير المواطن (الأجنبي) (الشاطر. خليفة وآخرون، 2007، ص. 72.). فما هي المواطنة عموما وما هي المواطنة عند القرطاجيين على الخصوص؟

2.2- مفهوم المُوَاطنة والمُوَاطِن لغة:

وتُشتق كلمة المُوَاطِن في اللغة العربية من وَطَنَ، والوَطنُ هو المنزل (المكان) الذي تقيم فيه، ووطن فلان بالمكان أي أقام به، وتجمل كلمة أوْطَن نفس المعنى، أما أوْطنَه أي اتخذه وطنا له، وأوطن الأرض ووطِنها واستَوْطنها أي جعلها وطنا له. أما المُوَاطَنَة فهي مصدر الفعل واطن أي شارك في المكان إقامة (ابن منظور، 1968، صص. 251-252 والمنجد في اللغة، 1986، ص. 906.)، ومنها جاءت الوطنية التي تعني الانتماء للأرض والناس والعادات والتقاليد (مجموعة من المؤلفين، 1999، ص ص. 113- 114)، وعلى العموم نستطيع أن نعرف المواطنة في مدلولها اللغوي عند العرب أنها المشاركة مع الآخرين بالإقامة في مكان ما، ويُنسب انتماء الفرد لوطنه سواء ولد فيه أم لم يولد فيها (إبراهيم. أنيس، 2004، ص1042..

وفي العصر الحديث نجد أن الكلمة التي يُصطلح عليها بالمُواطنة والمُوَاطن (Citoyenneté et citoyen) يمتد أصلها إلى اللغة اليونانية، حيث أُخذ هذا اللفظ من الكلمة اليونانية بُولِيس (πόλις / pólis) وجمعها (poleis)، وترجمتها

الحرفية هي "المدينة" (عبد اللطيف. أحمد علي، 1976، ص. 19 وأيضا: Sakillariou. Michel, 1989, p.182.)، ونفس الكلمة اليونانية بوليس تطلق على المواطن[3] (جولتز. جوستاف، 2011، ص. 67.)، وعادة ما يقصد بها عند المؤرخين المدينة- الدّولة (سعد. جورج، 1995، ص ص. 17- 20 و أيضا: Ma.John, 2014, p. 289.) (la cité- état) باعتبارها بناءًا يُساهم ويُشارك فيه الفرد مُساهمة حقيقية، وتُماثلها في اللّغة اللاّتينية كلمة كيفيتاس (Civitas) والتي تحمل نفس المعنيين السابقين "المدينة والمواطنة" كاللغة اليونانية تماما، ومن اللغة اللاّتينية انحدرت الكلمتين الفرنسيتين (Citoyen et Citoyenneté) حيث اشتقتا من كلمة سيتي (Cité) (Grad Larousse, 1989, p. 733.)، وينطبق نفس القول على (Citizen and Citizenship) الانجليزيتين والتي اشتقتا بدورها من كلمة سيت [14] (City) وتحمل كلتا الكلمتان سيتي (Cité) الفرنسية وسيتي (City) الإنجليزية (The Oxford, 2012, pp. 320- 324; Webster's new; 1995, pp. 178- 179.) نفس المعنى الذي تحمله الكلمة الإغريقية بوليس (Polis)، أي المدينة (The Oxford, 2012, pp. 320- 324; Webster's new; 1995, pp. 178- 179.). ومن خلال ذلك نستخلص أن المفهوم اللغوي لكلمة المُواطنَة والمُوَاطِن يرتبط بمكان الإقامة عند العرب فهو الانتماء له ودون تعيين لهذا المكان، أما عند الإغريق واللاّتين فمرتبط بمكان محدد هو المدينة ويعني في الأساس الانتماء إلى المدينة[4] (سعد. جورج، 1995، ص ص. 26- 37.).

وعلى العموم يحمل هذا المفهوم مشاركة الفرد في مكان إقامته مع مجموع المتساكنين معه، ولذلك نجد أن الإغريق فد ميّزوا في مدينتهم بين الفرد الصالح الذي يتحلى بالفضيلة والأخلاق ويهتم بشؤون مجتمعه، والمواطن الصالح الذي يتحلى بنفس الصفات يُضاف إليها مشاركته في شؤون المجتمع (المدينة)، وذلك إدراكًا منه أن تخليه عن المشاركة في حياة مجتمعه سوف يفتح المجال أمام غير الأكفّاء في تسيير الشؤون العامة لدولة المدينة وهو ما يجعلها عرضة للضعف والانهيار (جولتز. جوستاف، 2011، ص. 314.).

2.2- مفهوم المُواطنَة والمُوَاطِن اصطلاحا:

لا يتفق الباحثون على تقديم تعريف مُوَحد للمواطنة والمواطن[5] (محمد. عمارة، 1990، ص ص. 89- 95.)، فهو مصطلح مَرِن تعددت تعريفاته من زمن إلى آخر وبسبب تعدد اختصاصات أولئك الباحثين المهتمين بدراسته، وعلى هذا الأساس نجد تعريفات عديدة لها، وذلك حسب وجهة نظر العلم الذي يدرسها، وتُعرَّف المواطنة اصطلاحا بأنها صفة المقيم الذي يتمتع بالحقوق ويلتزم بالواجبات التي يفرضها عليه الانتماء للوطن من الناحية الاجتماعية، وفي مدلولها السياسي تتمثل في الحقوق التي يتمتع بها المواطن في نظام سياسي ما باعتباره عضوا في المجتمع السياسي الذي هو المدينة في العصور لقديمة، أما من الناحية القانونية فالمواطن هو ذلك الذي يُعْتَرَفُ له بحق المواطنة، أما اقتصاديا فهو الفرد الذي يتمتع بحق التملك ويساهم في موازنة الدّولة وفق شروط (الكيالي. عبد الوهاب، 1990، ص ص. 373- 374.).

وتجدر الإشارة إلى أن كل التعريفات التي أعطيت للمواطنة تحمل مضمُونا عاما واحدا، وهو العلاقة التي تربط بين المواطن والوطن أو بشكل أصح العلاقة بين الفرد والدّولة (سعد. جورج، 1995، ص ص. 26- 37.)، وتعني المواطنة في مجملها الساكن الذي يتمتع بحق المشاركة السياسية والمدنية في موطنه، ومقابل ذلك تقوم الدّولة بحمايته وحماية حقوقه، ومنها جاءت المشاركة في تسيير شؤونها عن طريق المجالس التي تمثل الشعب، وعلى أساس المواطنة (المشاركة)

يدفع المواطن الضرائب للدولة طوعا قصد تقويتها (جولتز. جوستاف، ، ص. 38.). ولم يشمل مبدأ المواطنة في العصور السابقة جميع فئات المجتمع المقيمة في نفس المكان، فاستثنى بعضا منها كالنساء والفقراء والعبيد (سعد. جورج، 1995، ص. 21.).

ومنه نستخلص مما سبق أن المواطنة هي مبدأ الانتماء لمجتمع المدينة (الدّولة في عصرنا الحديث)، ويعمل على وحدتها في مجابهة جميع الأخطار والتحديات التي تواجهها، ويحث على المساهمة في بنائها والعمل على استمراريتها. ولابد من الإشارة إلى أن مبدأ المواطنة قد عرف تطورات كبيرة وعميقة في تعريفاتها وتطبيقها، فالمواطنة في العصور الحديثة تختلف عن المواطنة في العصور القديمة (شنابر. دومينيك وباشولييه. كريستيان، 2016، ص. 12.)، ولكن يبقى جوهرها واحد.

3.2- ظهور وتطور فكرة المُواطنَة والمُوَاطِن:

لم تظهر فكرة المواطنة التي تجسدها وحدة المصالح بين المتساكنين في الحضارات الشرقية القديمة كالحضارتين المصرية والفارسية وغيرها (إيمار. أندريه وأبواييه. جانين، 2006، ص. 473.)، ويمكن تفسير ذلك بأن حياة الإنسان كان محورها القصر أو المعبد، وكان السكان يخضعون خضوعا مطلقا للحاكم أو الكاهن أو كليهما معا وقد يجمع الحاكم بين السلطتين السياسية والدينية، فلا قيمة للفرد في تلك المجتمعات. أما في المدينة الإغريقية التي أوجدت مفهوم المُواطنَة والمُوَاطِن لأول مرة، حيث كان الفرد عضوا له كل الحقوق في جماعة المدينة، وتتشكل هذه الجماعة من المواطنين الأحرار المتساوين في الحقوق والواجبات، وهذا ما يؤسّس لوحدة المدينة، وبذلك تختلف المدينة الإغريقية عن الإمبراطوريات الشرقية من حيث النشأة والتطور (شنابر. دومينيك وباشولييه. كريستيان، 2016، ص. 12.).

يُولد الإغريقي في مدينته مُواطنًا حُرا، فهي هُوية تُكتَسب بالولادة وتُورث للأبناء (سعد. جورج، 1995، ص. 21.)، ولذلك لم يكن الإغريق ليطيعوا رجلا مَهْمَا بلغ من القوة والسلطة (The Oxford, 2012 , pp. 320- 324.)، وقد دأبت المدن اليونانية للتخلص من الخضوع لشخص أو جماعة مستبدة، ولم تطلب في المقابل من المُواطن إلا إخلاصه واحترامه (سعد. جورج، 1995، ص. 21.) والإذعان لقوانين المدينة (شنابر. دومينيك وباشولييه. كريستيان، 2016، ص. 14.) ووفق هذه القوانين ينال بعض سكان المدينة حقوقا مقابل واجبات يؤدونها لمدينتهم (The Oxford, 2012 , p. 323.).

وقد ميّز الإغريق في مدينتهم بين الفرد الصالح والمواطن الصالح، فالأول هو الذي يتحلى بالفضيلة والأخلاق ويهتم بشؤون مجتمعه أما الثاني فيتحلى بنفس الصفات يُضاف إليها مشاركته في شؤون المدينة، وذلك إدراكًا منه أن تخليه عن المشاركة في حياة مدينته سوف يفتح المجال أمام غير الأكفّاء في تسيير الشؤون العامّة لدولة المدينة وهو ما يجعلها عرضة للضعف والانهيار (The Oxford, 2012 , p. 323.).

ومن جهة أخرى نظر الإغريق إلى من هم خارج مدينتهم على أنهم أعداء ما لم يُعْتَرف لهم بأنهم أضْياف (جولتز. جوستاف، 2011، ص. 317.). وعلى هذا الأساس لم تَمْنح المُدُن الإغريقية حق الانتماء للمدينة (صِفة المواطنة) لغير سكان المدينة الأصليين مهما طالت مدة إقامتهم وكيفما بلغت الخدمات التي يقدمونها لها، وحُرم العبيد تماما من حقوق المُواطَنة السياسية والمدنية، ولم يكن بإمكانهم اكتسابها مهما كانت الظروف (جولتز. جوستاف، 2011، ص ص.

34- 35.). وبهذا يكون الإغريق قد حصروا حق المواطنة في الأفراد الأحرار المتساوين المنتمين لنفس العرق (الجد) ونفس الدين والعادات والتقاليد والذين يسكنون في نفس المدينة (شنابر. دومينيك وباشولييه. كريستيان، 2016، ص. 14.).

ومع ظهور الإسكندر المقدوني الثالث (Alexandre III de Macédoine) (**323-332**) ق.م وغزوه للعالم وُلد معه العصر الهيلينستي (l'ère Hellénistique) الذي دَشّن فكرة ضرورة انفتاح اليونانيين على غيرهم من شعوب العالم الأُخرى، فتولدت معها فكرة المساواة بين البشر (الأحرار طبعا) وأصبح من الضروري على المدينة أيضا أن تواكب هذه الفكرة عن طريق توسيع مجال حدودها لتصل إلى حدود العالم المسكون ومنها ظهرت فكرة المواطنة العالمية (Le **Cosmopolitisme**) (سعد. جورج، 1995، ص. 116.).

وسوف يتطور مفهوم المواطنة لدى الرّومان كأفراد حائزين على حقوق مؤدين لواجبات (شنابر. دومينيك وباشولييه. كريستيان، 2016، ص. 14.)، من خلال التمتع بحقوق مدنية وشخصية كحق عقد الزواج وتحرير عقود قانونية وفق القانون الرّوماني، وبذلك سمحت الطبيعة القانونية للمواطنة الرّومانية بإمكانية حصول غير الرومان عليها، وهو ما يفسر حصول صفوة سكان المستعمرات الرّومانية على حق المواطنة بمجرد ضم الإقليم للإمبراطورية الرّومانية، وينتهي الأمر بالرّومان إلى صدور قانون كركلا 212 الذي تَحصّل بموجبه أغلب الرجال الأحرار على المواطنة، وهذا في الجانب القانوني النظري أما إذا نظرنا إلى الواقع فإننا نجد أن أغلبية المواطنين استبعدوا عن ممارسة السياسة (شنابر. دومينيك وباشولييه. كريستيان، 2016، ص ص. 15- 16.).

3 - المُواطنة والمُواطَن في مدينة قرطاجة:

1.3 - تعريف المواطنة والمواطن في مدينة قرطاجة:

لم تتناول المصادر والنصوص الأدبية مسألة المُواطِنة والمُواطَنَ في مدينة قرطاجة، ورغم ذلك فقد وردت فيها بعض الإشارات لما يفيد بوجود فئات في المجتمع القرطاجي تمتعت بحقوق لم يتمتع بها جميع السكان في مدينة قرطاجة، واعتمد الباحثون المهتمون بتاريخ قرطاجة على تلك الإشارات التي وردت في نصوص المؤرخين القدامى للاستفادة منها فيما يخص دراسة هذا الموضوع بتحليلها ومقارنتها بالنقوش والنصوص التي تركتها الحضارة القرطاجية.

ومن بين هؤلاء الباحثين نذكر محمد حسين فنطر الذي يُقَدِّم لنا تعريفا ملخصا للمواطنة والمواطن في قرطاجة (Hédi. Slim et autres, 2003, p. 90) قائلا: "المواطنون (في قرطاجة) هم الذين يتمتعون بالحرية... والإسهام في بناء المجتمع والدّولة والاضطلاع بالمهام السياسية والإدارية على أساس الثروة والثقافة ويتصدر الأثرياء هذا الصنف من المجتمع وهم يستندون إلى ممتلكاتهم العينية والعقارية والمالية، مما يرشحهم للقيام بدور خطير في جميع الميادين" (فنطر. محمد حسين، 1999، ص. 23.)، وتجدر الإشارة هنا إلى أن حقوق المواطنة التي يتمتع بها المواطن في الإمبراطورية القرطاجية تختلف من مدينة قرطاجية إلى أخرى (Sznycer. Maurice, 2000, p. 123.).

لا شك أن حق المواطنة لم يشمل جميع الذين أقاموا في مدينة قرطاجة، بل اقتصرت على فئة من سكانها فقط، ومن المؤكد أن المواطنة والتمتع بحقوقها هي حق طبيعي لكل من انحدر من أبوين قرطاجيين والتي تسمى المواطنة

بالمولد (بورنية. الشاذلي وطاهر. محمد، 1999، ص258.)، ولا يتأثر هذا النوع من المواطنة بمكانة ودرجة الأم الاجتماعية سواء كانت من أصول فينيقية أو أجنبية جرة أم أَمَة (من العبيد) (Fantar. M. H, 1998a, p. 178.)، فهي حق طبيعي للمولود من أب قرطاجي (Fantar. M. H, 1998a, p. 179.)، وتثبت بعض النقوش التي عثر عليها في قرطاجة وجود مواطنين قرطاجيين من أصول إغريقية وأمهات قرطاجيات، وفي هذا الصدد يطرح م. ح. فنطر تساؤلا في غاية الأهمية تمثل في إمكانية حصول الأجانب على المواطنة القرطاجية إذا كان المولود من أب أجنبي وأم قرطاجية ؟ إذ يقول: "هل يمكن للأبناء الحصول على المواطنة القرطاجية إذا كانت الأم قرطاجية وكان الأب أجنبيا ؟ ومثال على ذلك الفيلسوف والمواطن القرطاجي الذي يدعى أسدروبعل (Asdrubal) والملقب كليماتوك (Climatoque) ، فقد كانت والدته قرطاجية ولكن والده كان إغريقي الأصل، دون شك، يدعى ديونيتوس" (Diognitos) (Fantar. M. H, 1998b, p. 12.)، ولكننا لا نستطيع الجزم في هذه المسألة نظرا لقلة الوثائق والمعلومات حول ما إذا كان لأبناء القرطاجيات من آباء أجانب الحق في الحصول على المواطنة القرطاجية ؟ وعلى العموم لم يمنع القرطاجيون الأجانب من الحصول على حق المواطنة ولكن ضمن شروط

2.3 - شروط الحصول على المواطنة القرطاجية:

من الطبيعي أن يكون القانون القرطاجي قد كفل حق المواطنة للمولود لأب قرطاجي كحق مكتسب كما رأيناه سابقا، أو ضمن شروط قانونية غير معروفة تماما، وقد عَبَّر عن ذلك محمد. طاهر قائلا: "المواطنة في تعبيرها الاجتماعي تبدو مقتصرة على الأحرار من القرطاجيين رغم أننا نفتقد إلى تحديد شروطها" (بورنية. الشاذلب وطاهر. محمد، 1999، ص. 258.)، والظاهر أنها تُمنح للأجانب المقيمين في مدينة قرطاجة بعد تقديمهم خدمات جليلة للدولة القرطاجية وخاصّة في ساحات القتال (Fantar. M. H, 1998a, p. 177.).

ولا شك أن من الشروط الأساسية للتمتع بحق المواطنة القرطاجية الحُرّية. وإذا كانت الحُرّية شرطا أساسيا للتمتع بحق المواطنة القرطاجية نطرح السؤال التالي: من هم الأحرار في قرطاجة ؟.

تشمل فئة الأحرار طبقات من المجتمع القرطاجي على رأسها الطبقة الأرستقراطية والطبقة المتوسطة والطبقة الفقيرة، وضمن الطبقة المتوسطة نجد التجار والحرفيين وملاك العقارات من أراضي فلاحية وملاك متوسطين وملاك صغار وعمال وفلاحين ولدوا أحرارا (بورنية. الشاذلب وطاهر. محمد، 1999، ص. 259.)، وكلهم تمتعوا بحق المواطنة (فنطر. محمد حسين، 1999، ص ص. 23- 24.).

وضمت فئة الحرفيين كل الذين يتعاطون الصناعات والحرف من حدادين وسباكي الذهب والفضة، يضاف إليهم العاملين في البحر وأيضا الفلاحين وكذا الأطباء والمهندسين والمدرسين وعمال دواوين الدّولة من إداريين وكتبة. أما الطبقة الفقيرة فمنهم من لا يملك سوى قوة عضلاته كالجدافين والعتالين (الحمالين) وعمال المزارع وعمال الورش، وتتميز هذه الفئة الأخيرة بكثرتها وضعف فعاليتها على أنها تَنْظمُّ أحيانا إلى الطبقة الوسطى فتزيدها قوة ونفوذا، وقد نجد فيها المغامرين السياسيين أيضا (فنطر. محمد حسين، 1999، ص ص. 23- 24.).

3.3 - المواطنة القرطاجية وممارسة الحقوق السياسية:

وتمنح المواطنة القرطاجية للمواطن امتيازات منها المشاركة في الحياة السياسية والإدارية للمدينة، فيَنتخب ويُنتخب ويُكلف بالمهمات السياسية والإدارية والدينية والعسكرية (Fantar. M. H, 1998a, p. 178.). ومن خلال الشواهد يظهر أن التمتع بحقوق المواطنة السياسية لم تكن على حد سواء بين جميع فئات المواطنين القرطاجيين، ولا نقصد بذلك حق التصويت والمشاركة في جمعيات المدينة، وإنما المقصود هو القدرة على الترشح والارتقاء في المناصب السياسية والمدنية العليا للدولة، حيث تحكم في ذلك عاملان أساسيان لا ينفصل بعضهما عن بعض هما الثروة وأصل المواطن (أن يكون فينيقي الأصل)، فلم يكن المواطنون من الطبقة العامّة أو ما يسمى بصغار الأحرار يتمتعون بامتيازات الطبقة الارستقراطية ذات الأصول الفينيقية (بورنية. الشاذلب وطاهر. محمد، 1999، ص. 257.)، وعلى هذا الأساس يمكن أن نلاحظ نوعين من المواطنة عامة يتمتع بها جميع المواطنين القرطاجيين دون استثناء، وأخرى خاصة ينطبق عليها المقولة التي تنص على "أنها مجموع المواطنين الذين يملكون السيادة (شنابر. دومينيك وباشولييه. كريستيان،2016 ، ص. 14.).

ونستنتج من ذلك أيضا أن المواطنة في مدينة قرطاجة على مستويين، مواطنة ممتازة للأغنياء فاعلون يشاركون في الحياة السياسية بشكل مباشر ويتقلدون المناصب العليا في الدولة، وآخرون لا حيلة ولا مال لديهم ودأبهم هو توفير قوت يومهم، موزعون بين الريف والمدينة ويضطلع دورهم السياسي في الانتظام في جمعيات وانتخاب المجالس والشخصيات المرشحة ذات النفوذ. ولا شك أن هذا الدور البسيط (Fantar. M. H, 1998a, p. 178.) لا يجعل من هذه الطبقة تشارك بشكل فعّال في تسيير الشؤون السياسة للمدينة، وفي بعض الأحيان يتضح دور هذه القوة الشعبية في حالات الأزمات، حيث تميل الكفة لأحد الأطراف المتنافسة (Diodore de Sicile, 1916,, VII ? 63.)، ويدعم هذا الرأي ما المؤرخ ديودور الصقلي (Diodore de Sicile, 1916, XVII, 5-7.) أن أذربعل (Asdrubal) قد انتخب جنرالا من طرف الشعب والقرطاجيين، ولا شك أنه يقصد بالقرطاجيين فئة النخبة أو مجلس السينا (الشيوخ)، ولعل تأثير المواطنين من عامة الشعب في شؤون الحكم والسياسة لم يكن كبيرا على العموم.

وتجدر الإشارة إلى أنه لا فرق بين مختلف الطبقات والفئات الاجتماعية في مدينة قرطاجة، بين الأغنياء والفقراء والمُعْدَمين من الأحرار والأجانب وحتى العبيد فيما يخص بعض شؤون الحياة كالعبادة وممارسة بعض الحقوق المدنية كالزواج، حيث كان العبيد يمارسون حياتهم الدينية كغيرهم من بقية طبقات المجتمع القرطاجي (Fantar. M. H, 1998a, p. 185.)، ولعل الفرق بين المواطن والأجنبي والعبد هو ممارسة الحقوق السياسية والحرية. وفي هذا الصدد نشير إلى أن حقوق المواطنة والتمتع بها تختلف من مدينة قرطاجية إلى أخرى (Sznycer. Maurice, 2000, p. 118.).

4.3 - اسم المواطن في قرطاجة:

ونتساءل عن المفردة اللغوية التي كان القرطاجيون يطلقونها للتعبير عن صفة المواطن، ومعلوماتنا في هذا المجال شحيحة وغير مؤكدة، فلا نجزم بوجود لفظة دالة على ذلك يقينا، ولكن هناك بعض الإشارات التي جاءت في كثير من

النصوص والنقوش البونيقية على النصب وشواهد القبور في قرطاجة، والتي يمكن أن تكون دالة على وجود ما يوازي كلمة المواطن (Polis, Civitas) عند الإغريق أو الرّومان.

ومن تلك الاحتمالات المطروحة نجد في النقوش البونيقية الجذر رب ب (RBB) الذي يحمل معنيين أساسيين في اللغة البونيقية أولهما كثرة العدد والثاني العظمة (Etre grand)، والذي يُفَسّر عند ترجمته بألقاب عديدة منها السيد والرئيس والعظيم والقبطان...، وكذلك نجد لفظة رب (Rab) البونيقية التي نستطيع أن نقول بشيء من التأكيد إنها دائما ما تتعلق بشخصية مهمة خاصة تشغل منصبا عال في النظام السياسي أو الاجتماعي بقرطاجة أو في المدن البونيقية الأخرى، وأيضا يمكن أن تكون العبارة بعل (Ba'al) (BL) تساوي المواطن، وتحمل هذه العبارة معنى مالك ثم تطورت الكلمة لتأخذ معاني كثيرة منها الإله والسيد وجمعها بعاليم، حيث يمكن أن نقول بعاليم هذه أو تلك المدينة، وتَرْجَم المختصون هذه العبارة بالسادة النبلاء، عندما يتعلق الأمر بالأشخاص وهنا يظهر معنى المواطن جليا وواضحا، وقد نجد هذه العبارة المتعلقة بالأشخاص في صيغة المفرد أو الجمع، لإضفاء صفة العظمة على الشخص (Sznycer. (Maurice, 2000, p. 121.

وبما أن حقوق المواطنة وما يتولد عنها من امتيازات لم تكن على قدم المساواة بين جميع المواطنين القرطاجيين فمن الممكن أن تكون هذه التسميات (رب ب، رب، بعل) ألقابا خاصّة بالمواطنين من الطبقة الارستقراطية التي تتمتع بالجاه والنفوذ والثروة.

5.4 - الأجانب، العبيد وحقوق المواطنة في مدينة قرطاجة

تذكر المصادر الأدبية الإغريقية واللاتينية، وهو ما أثبتته المصادر الأركيولوجية، أن مدينة قرطاجة كانت تضم أعداد كبيرة من الأجانب ومن أصول متنوعة إفريقية وإغريقية وإيطالية وشرقية وغيرها، اختاروا السكن في مدينة قرطاجة بصفتهم سكان أحرارا وذلك لأسباب عديدة فمنهم من فر من موطنه الأصلي لأسباب سياسية فاتخذ قرطاجة ملجأ له ومنهم من استقر في هذه المدينة لأغراض اقتصادية كالتجارة والصناعة الحرفية، ومنهم من عمل مرتزقا في الجيش القرطاجي ثم آثر البقاء فيها بدل العودة إلى موطنه الأصلي. وقد حصل هؤلاء على حقوق المواطنة القرطاجية بعد تقديم أعمال للدولة وخاصة في ساحات القتال (Fantar. M. H, 1998a, p. 177.)، ووجد الكثير من المواطنين القادمين من الساحل الفينيقي، الذين تمكنوا من الفرار بأنفسهم مضطرين تحت وطأة الظروف للقدوم والاستقرار في هذه المستوطنة الغربية (ديكريه. فرونسوا، 1996، ص. 78.)

كما تشير المصادر باختلاف أنواعها الأدبية والأركيولوجية (Archéologique) إلى كثرة أعداد العبيد في قرطاجة. الذين يصنفون حسب وظائفهم أو ملاكهم إلى عبيد المناطق الريفية الذين يُشغّلون في مجال الفلاحة في ظروف قاسية أو عبيد المدن الذين يعملون في ظروف أرحم،، وعبيد عموميون ملك للدولة وعبيد خواص ملك للملاك الخواص، وجوهر الفرق بين العبد والمواطن هو الحرية. وفي هذا الصدد لا يمكن مقارنة ظروف العيش بين العبيد في قرطاجة والعبيد في بلاد الإغريق أو روما. ولا شك أن هاتين الفئتين لم تتمتعا بحق المواطنة القرطاجية في الوهلة الأولى عند وصولها.

ولكن الشواهد تثبت تحصلت أعداد من الأجانب المقيمون في قرطاجة على حق المواطنة وكان من بينهم الفينيقيين الفارين من بلدانهم ويعلق ف. دوكريه (Decret. F) على ذلك قائلا : " تمتع هؤلاء القادمون الجدد من صور دون شك بالحقوق المدنية والسياسية بسهولة" (ديكريه. فرونسوا، 1996، ص. 78.).

كما نشير في هنا الصدد إلى إمكانية حصول العبيد المعتوقين في مدينة قرطاجة على حق المواطنة في بعض الظروف العصيبة (Ferjaoui. Ahmed, 2007, p. 82.) وفق شروط كان أهمها الحرية، وقبل ذلك سمح القانون القرطاجي للعبيد أن يتطلعوا إلى مستوى اجتماعي أعلى عن طريق الحصول على حريتهم (بورنية. الشاذلي وطاهر. محمد، 1999، ص260.). حيث كان في صلب مجلس الشعب القرطاجي لجنة لها صلاحيات النظر في مثل هذه المسائل، وحدث أن وقعت عملية عتق فردي أو جماعي للعبيد مثل ما حدث خلال الحرب البونيقية الثالثة (149- 146) ق. م وتمَّ تجنيدهم[6] (Fantar. M.H, 1973, pp. 32- 46.)،كما أنه من الممكن للعبد أن يشتري نفسه وقد امتلك العبيد قبل ذلك حق الزواج (بورنية. الشاذلي وطاهر. محمد، 1999، ص260.)، ودل على ذلك أيضا ما جاء في الشواهد الأثرية من نقوش وكتابات بونيقية عثر عليها في قرطاجة (Sznycer. Maurice, 2000, p. 118.)، والتي احتوت على الكلمة البونيقية (Isb sidon) والتي قام ج. ج. فيفري بترجمتها إلى "رجل النحاس" أي الرجل الذي اشترى نفسه بالنحاس، أما موريس سينيسر (Sznycer. Maurice) فيرى أنها تعني المحرر أو المعتوق، ونرى أن الترجمتين تحملان نفس المفهوم، ووجدت العبارة (LMV' MS' AM' qarthadasht) كذلك مكتوبة في النقوش البونيقية والتي ترجمت بالعبارة التالية "المعتوقين من طرف مجلس الشعب القرطاجي" (Fantar. M.H, 1998a, p. 183.)، كما يمكن ترجمتها أيضا على النحو التالي: "حسب قرار العتق لمجلس الشعب القرطاجي" (Fantar. M.H, 1998a, p. 184.)، ونلاحظ أن الترجمتين تحملان نفس المعنى، وجدير بالذكر أن عمليات عتق العبيد (خواص أو عموميين) كانت تأخذ طابعا رسميا، ولا يمكن أن تكون سارية المفعول إلا بموافقة مجلس الشعب القرطاجي، حيث يتكفل بذلك لجنة خاصة في صلب مجلس الشعب (Sznycer. Maurice, 2000, p. 119.).

5- الخاتمة:

ظهرت المواطنة في مدينة قرطاجة في نفس الفترة الزمنية التي نشأت فيها في مدن بلاد اليونان. وقد تميزت المواطنة القرطاجية بأن القانون قد فتح باب الحصول عليها للمقيمين في قرطاجة من الأحرار، كما كان للعبيد نصيب من هذا القانون بعد تحررهم. وسمحت المواطنة بدمج الأجانب والعبيد في المجتمع القرطاجي على المستوى السياسي بعد دمجهم اجتماعيا، ومع ذلك كانت المواطنة في مدينة قرطاجة على درجتين مواطنة خاصّة وأخرى عامّة، ويرتكز الانتماء الى احداها على أصل الفرد وثروته من مال وعقار، وبالتالي نوع الامتيازات التي يحصل عليها. ومن أبرز نتائج انفتاح قانون قرطاجة الخاص بالمواطنة هو التطور الحضاري الذي شهدته قرطاجة والتي سميت بالحضارة البونيقية.

- الإحالات:

1- نشأت فكرة المواطن والمواطنة مع ظهور المدينة الإغريقية، أنظر: جولتز. (جوستاف)، (2011)، المدينة الإغريقية، تر. محمد مندور، المركز القومي للترجمة، القاهرة.- مصر.

2- باحث وأستاذ تونسي متخصص في الفترة البونيقية له كتابات كثيرة وفي عدة لغات منها: (1999). الحرف والصورة في عالم قرطاج، أليف: منشورات البحر الأبيض المتوسط ومركز النشر الجامعي، تونس.

3- يطلق الإغريق على المواطن في اليونان القديم كلمة أستيا أو أوستواي (Asty- Ostoi) وهي تساوي كلمة بوليتاي (Politai).

4- كانت الحياة المدنية والسياسية عند الإغريق تتمحور حول المدن التي وهبتها الآلهة للمتحضرين، فكانت تمثل العامل التوحيدي الوحيد ويضم مدينة أو عدة مدن وما يلحق بها من أرياف.

5- يرى د. محمد عمارة أن المواطنة الحقيقية لم تتحقق إلا في مجتمع المدينة المنورة على عهد الرسول-صلى الله عليه وسلم-حين هاجر إلى إليها فوضع أسسها المبنية على الانتماء للمدينة والإنسانية وفق العهود والمواثيق، بغض النظر عن التعدد الديني والعرقي وتباين الطبقات الاجتماعية.

6- وهي آخر الحروب البونيقية بين قرطاجة وروما وأقل زمنا من سابقتيها ولكن نتائجها كانت وخيمة وقاسية، حيث انتهت بتدمير مدينة قرطاجة البونيقية إلى الأبد.

- **المراجع والمصادر:**

- ابن منظور، (1968)، لسان العرب، مج. 13، دار صادر، بيروت- لبنان.

- إبراهيم. (أنيس) وآخرون، (2004)، المعجم الوسيط، ط. 4، مجمع اللغة العربية. مكتبة الشروق الدولية، بيروت - لبنان.

- إيمار. (أندريه) وأبواييه. (جانين)، (2006)، تاريخ الحضارات العام الشرق واليونان القديمة، تر: داغر. (فريد م) وأبو ريحان. (فؤاد. ج)، ج.1، عويدات للنشر والطباعة، بيروت. لبنان.

- بورنية. (الشاذلي) وطاهر. (محمد)، (1999)، قرطاج البونية تاريخ حضارة، المركز الجامعي للنشر، تونس.

- جولتز. (جوستاف)، (2011)، المدينة الإغريقية، تر. محمد مندور، المركز القومي للترجمة، القاهرة.- مصر.

- ديكريه. (فرنسوا)، (1996)، قرطاجة أو إمبراطورية البحر، تر: عزو. أحمد عز الدين، ط1، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق- سورية.

- الكيالي. (عبد الوهاب)، (1990)، موسوعة السياسة، ج.5، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت- لبنان.

- مجموعة من المؤلفين، (1999)، الموسوعة العربية العالمية، ج.24، ط.2، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية.

- المنجد في اللغة، (1986)، ط. 20، دار المشرق، بيروت لبنان.

- سعد. (جورج)، (1995)، تطور الفكر السياسي في العصور القديمة والوسطى، ط1، دار الالتزام للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان.

- عبد اللطيف. (أحمد. علي)، (1976)، التاريخ اليوناني (العصر الهيلادي)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت- لبنان.

- عمارة. (محمد)، (1990)، في النظام الإسلامي الخلافة...الدولة المدنية...الشورى ...الديموقراطية ...المواطنة، دار المعارف، القاهرة- مصر.

- فنطر. (محمد حسين)، (1999). الحرف والصورة في عالم قرطاج، أليف: منشورات البحر الأبيض المتوسط ومركز النشر الجامعي، تونس.

- الفرجاوي. (أحمد)، (1993)، بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاجة، المعهد الوطني للتراث والمجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون (بيت الحكمة)، تونس.

- الشاطر. (خليفة) وآخرون، (2007)، تونس عبر التاريخ (العصور القديمة)، ج.1، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس.

- شنابر. (دومينيك)، باشولييه. (كريستيان)، (2016)، ما المواطنة ؟، تر: سونيا محمود نجا، المركز القومي للترجمة، القاهرة. مصر.

- Diodore de Sicile, (1916), Bibliothèque Historique, Trad. Par : Miot. (A. F), Paris.

-44- Fantar. (M. H), (1998b), à propos de la présence des Grecs a Carthage, Antiquité Africaine, I, 34, p. 11-19.

- Fantar, (M. H), (1998a), Carthage, Approche d'une civilisation, t. 1, éd. Alif, Tunisie.

- Fantar. (M. H), (1973). visite de Carthage, Maison tunisienne d'édition, Tunisie.

- Grand Larousse de la langue française, (1989), vol. II, librerie Larousse, Paris. France.

- Hédi. (Slim), et autres, (2003), Histoire de la Tunisie, des origines à la conquête romaine, t.1, Société tunisienne de la diffusion,

- Ferjaoui. (Ahmed), (2007). quelques aspects de transformations socio- culturelle en Afrique du nord au temps de Carthage, in les comunitates local sals estats arcaics: la formacio de les societats complexes a la costa del mediterrani occidontal, homentage a Miquel. Cura, actes de la III reunio international d'arqueologia de Calafele (Calafele 25- al 27) de novembre de 2004, Universitat de Barcelona, pp. 79- 87.

- Ma. (John), (2014), la cité grecque et les transferts culturels, dans Dialogues d'histoire ancienne, vol. 40, n°1 , pp. 257- 275.

- Sakillariou. (Michel), (1989), Polis et cité ; État-polis et État-cité. In: Mélanges Pierre Lévesque, Tome 2 : Anthropologie et société. Besançon : Université de Franche-Comté, pp. 275-377.

- Sznycer. (Maurice), (2000), à propos des structures sociales et politique de la cité punique. Le «RAB» et le « Sufete » le « Citoyen » et l' »esclave », Actes du VIIIème col. Int. sur l'histoire et l'archéologie de l'Afrique du nord (1ere col. Int. Sur l'histoire et l'archéologie du Maghreb, Tabarka, Tunis, pp. 115- 123.

- The Oxford classical dictionary, (2012), 4th ed, Oxford University Press.

- Webster's New Encyclopedic Dictionary, (1995), éd. LE PRAT, USA.